تجليات التجريب في قصيدة التفعيلة المغاربية

The manifestations of experimentation in the poem of the maghreb activation

د.رضا عامر ـ كليّة الآداب واللغات جامعة: ميلة - الجزائر

بريد المرسل: azorida12@gmail.com– الإرسال: 2019/10/16 قبول 2019/10/27

E . ISSN : 506-2602X - ISSN: 2335 - 1969

صفحات البحث من : 72 إلى 88

• **الملخص:**

أدّت القصيدة الحرة دورًا هامًا في تحقيق نقلة نوعية في الأدب العربي خاصة مع ظهور شعراء الحداثة بعد البون الشاسع مع واقعهم المرير الذي بات يشكل مفارقة كبيرة فكان إبداعهم الشعري حينها بمثابة ثورة على القديم البالي،ومع ذلك بقيت قصيدة التفعيلة تصارع من أجل بقائها،خاصة لدى شعراء المغرب العربي المتأثرين بالعديد من نماذج الشعر الحرّ التي اقترن ظهورها مع ظهور أول نموذج شعري حرّ للشاعرة العراقية **(نازك الملائكة)**.

* –**الكلمات المفتاحية:**القصيدة الحرّة– ثورة– تصارع– المغرب العربي.

• **-Abstract :**

The free poem played an important role in achieving a qualitative leap in Arabic literature, especially with the emergence of the poets of modernity, after the vast gap with their bitter reality which became a great paradox. Their poetic creativity was then a revolution against the old ballet; however, the poem continued to struggle for its survival. The poems of the Maghreb influenced by many models of free poetry, which coincided with the emergence of the first free poetic model of the Iraqi poet (**Nazik Al-Malaika**) .

***-Keywords :**

Free poem-revolution- werstling- maghreb- first model

*– مدخـــل:

إنّ شعر التفعيلة المغاربي بكل فنياته وتجلياته بات يشكل زخمًا ثقافيا جادت به مختلف قرائح الشّعراء مواكبين به كلّ المآسي والآلام التي شهدوها أو شغلت تفكيرهم باستمرار إبّان الفترة الاستعمارية الفرنسية الغاشمة،والأهمّ من ذلك كلّه ما تكبده **الشاعر المغاربي المعاصر** في خمسينيات القرن الماضي من تحدّي، وصراع عنيف مع الاستعمار الفرنسي من جهة،ونقل المشهد الاجتماعي المشحون ثقافيا ،والذي انعكس على واقعه المعيش من جهة أخرى،إذْ نهض هؤلاء الشّعراء من رماد الثورة مشاركين في الذود عن

أوطانهم بكلّ ماجادت به قرائحهم من صور شعرية تعكس المعاناة والمعارك التي صورت هوية الشاعر،والمثقف والسياسي والمواطن المغاربي للوقوف في أوجه المسخ، والتقزيم والاضطهاد بشتى أشكاله الذي شنه الاستعمار الغربي على كلّ أطياف المجتمع المغاربي حينها.

حقًا كانت"**قصيدة التفعيلة المغاربية**" تخوض غمار التأصيل والتأسيس الفني مبرزة حالات الصراع الفكري،والتاريخي مع الاستعمار الفرنسي حينها،إذْ نهض العديد من شّعراء المغرب العربي الذين شغلتهم حالة الفوضى الاجتماعية من تخلف فكري، وحضاري وتنكيل استعماري غربي فاضح، خاصة لدى نخبة من شعراء الحداثة المغاربة نحوَ: " **أبو القاسم سعد الله/محمد الصالح باوية/إبراهيم الكوني،/أبوا لقاسم محمد كرّو/ جليلة الخليع/ عبد العالي النميلي/محمد على الرباوي/عبد الله راجع /باتّه بنت البرا**" الذين ألهبوا العالم بشعرهم وثورتهم ووطنيتهم التي ليس لها حدود،فكانت قصائدهم بمثابة زلزال مدويّ لكل الذين شككوا في الحداثة المغاربية، فكان شعرهم مصدرا للنهل منه والقرض على منواله في رسم طريق الحرية،والانعتاق من قيود الاستعمار البغيض من جهة ورفع رايات التجديد والتغيير الفكري والاجتماعي من جهة ثانية .

طبعًا كان الجيل الأول من رواد حركة الشعر الحرّ بمثابة مراسلين صحفيين وثّقوا تاريخ ثوراتهم في وجه كل أشكال الاستعمار البغيض بداية بالاستعمار الإيطالي في ليبيا والاستعمار الفرنسي في تونس والجزائر والمغرب الأقصى،والاستعمار الإسباني في موريتانيا ،ناهيك التأثر الكبير بالحركة الشعرية التجديدية التي كان منطلقها في العراق ومصر ولبنان من خلال دعوة الشاعرة(**نازك الملائكة**) في كتابها قضايا النص الشعري المعاصر الذي بات أيقونة شعرية في زمن الكوليرا التي أصابت شعب مصر،فكانت قصيدتها ملهمة للعديد من شعراء المغرب العربي.

1- المحور الأوّل: رواد التجريب في قصيدة التفعيلة المغاربية

بعد أن نحى الشعر المغاربي الحديث بكلّ أطيافه وأعلامه منحًا تقليديًا بحتًا، فقد عرف نقلة جديدة أخرى برزت في التجديد على مستوى المضامين، والشكل متأثرًا بحركة التجديد العربية التي عرفتها القصيدة العربية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية،وبشكل خاص في العراق ومصر ولبنان،وذلك بتعدد المآسي التي مرت بها الأمة العربية قاطبة،ولعلّ الجزائر وتونس والمغرب التي كانت تعارك المستدمر الفرنسي من أجل نيل حريتها،قد وجدت في الشعر وسيلة للتعبير عن آلام وأحزان وهموم المواطن المغاربي التواق لدحر كيان العدوان الفرنسي.

أ- قصيدة التفعيلة في الجزائر:

لقد كان ظهور قصيدة التفعيلة(**الشعر الحرّ**) بمثابة قفزة نوعية للنص الشعري الجزائري المعاصر ،إذ كانت"البداية الحقيقية الجادة لظهور هذا الاتجاه،إنّما بدأ مع ظهور أول نص من الشعر الحرّ في الصحافة الوطنية،وهو قصيدة طريقي لأبي القاسم سعد الله المنشورة في جريدة البصائر بتاريخ 23 مارس 1955"[1]، وقد نشرت هذه القصيدة سنة 1955م في جريدة البصائر في عددها رقم (313)، كما نجد العديد من الشعراء الذين جسدوا وضعية الثورة الجزائرية نذكر منهم: **محمد الصالح باوية** في ديوانه(**أغنيات نضالية**)،والشاعر **محمد الصالح خرفي** من خلال ديوانه (**أطلس المعجزات**)، والشاعر **صالح خشّابة** من خلال ديوانه (**الروابي الحمر**)،وغيرهم من شعراء الثورة الجزائرية،وفي هذا الصدد نسوق مقطعًا شعريًا من ديوان (**الزمن الأخضر**)،**لأبي القاسم سعد الله**،والذي يقول فيه:

يارفيقي

لاتلمني عن مروقي

فقد اخترت طريقي !

وطريقي كالحياة

شائك الأهداف مجهول السمات

عاصف التيار وحشي النضال

صاخب الأنات عربيد الخيال

كل مافيه جراحات تسبيل

وظلام وشكاوي ووحول[2]

وقد تطور شعر التفعيلة الجزائري على يد العديد من الشعراء الذي وجدوا فيه متعة جمالية، بعد أن تمكن المبدع الجزائري من صياغة عالمه بطريقة تجديدية عمادها الرؤيا كجوهر للخلق والإبداع التفردي القائم على خلفيات التجريب والذاتية الفنية،فكانت نصوصهم الشعرية تقفز "خارج المفهومات السائدة هي إذن تغيير في نظام الأشياء وفي نظام النظر إليها"[3]،وهنا نسوق مثالا عن

قصيدة بعنوان(**رحلة حزن**) التي يصور فيها حالة شعورية تراود الإنسان فيصبح لايدري كيف يتصور ذاته ممزقة بين واقعه وتجربته الشعورية،وفيها يقول: **يارفيقي**

"أنا أحيا في ضبابْ

لم يراودني مرحْ

لم أضاحك نجمةً عند المساءْ

منذُ أسدلنَا ستارْ

بين قلبينَا.. وطارْ

يارفيقي..

كل ما حوليَ صمتٌ.

ودوارٌ وعــيَاء

وقلوبٌ من ترابْ"(4)

كما نجد الشاعر (**أبو القاسم خمار**) قد نهج نفس نهج الشاعر سعد الله في بعث النص الشعري الجزائري المعاصر ليواكب حركة التجديد على مستوى الأعاريض، والأبحر والقوافي من أجل تقديم نفس جديد للمتلقي حتى يواكب هذه النقلة النوعية للنص الشعري الجزائر خاصة ماتعانيه النفس البشرية من تشظي وتشيء، فكانت قصيدته بعنوان (**حالة للصراخ**) تعبر عن تلك الآلام العميقة للنفس البشرية التي أصبحت مستباحة ،تعاني الظلم/ التهميش/ التحقير،بحثًا عن الخلاص الأزلي من كل ذلك، فيقول:

ولما تضاءلتُ فوق الطريق

وغادرني الحلم، دون انطلاق

ولامستُ حدَّ الجنون..!

توهّمتُ في البحر، منفرجاً للتنفّس

منعرجاً للظنون..؟

أرى فيه، متسعاً لهمومي..

ومأوى هروبٍ، من الاختناق..

ولكنه البحر..! (5)

أمّا الشاعر **(محمد الصالح باوية)** فنجده هو الآخر قد أخذ من تجربة الشعر الحرّ نصيبًا في ديوانه الشعري**(أغنيات نضالية)**،حيث صوّر فيها حالة الثورة الجزائرية المباركة بصور جمالية/فنية كون شاعر الحداثة "لايعيش التجارب من السطح بل إنّه يحاول أن يستبطن هموم الإنسان وقضايا العصر مما يجعله قريبًا إلى النفس البشرية"(6)، وعليه نجد الشاعر**(محمد الصالح باوية)** في قصيدة **(ساعة الصفر)** التي يصور من خلالها حالة الذهول التي بدت أثناء اندلاع الثورة التحريرية المباركة فيقول:

المدى والصمتُ والريحْ

تذري وهبةَ الأجيال في تلك الدقيقة

قطرات العرق الباني نداء

ثورةُ خرساءُ،

أهوالُ مغيرة

لون عمق يتحدى في جزيرة(7)

أمّا في قصيدة **(أغنية الرفاق)**،والتي يصور فيها حماس الثّوار ورغبتهم في الانتقام من المستدمر الفرنسي،فيقول:

" يارفيقي، يارفيقي في الذرى،في السجن في القبر وفي

آلام جوعي

قهقة القيد برجلي يارفيقي،حدّقوا فالثأرُ

يجتزّ ضلوعي

ياجنونَ الثورة الحمراءِ يجتزّ كياني ومغاراتِ

ربوعي

أقسمت أمي بقيدي، بجروحي سوف لاتمسحُ

من عيني دموعي

أقسمتْ أن تمسحَ الرشَّاشَ والمدفعَ والفأس بأحقادِ

الجموع

أن آراها ضربةً عذراءَ تغزو بسمةَ السفَّاحِ

في الحقل الخصيبِ"(8)

وهكذا قدم **النص الشّعري الحداثي الجزائري** صورة حية عن التجديد الشعري الحداثي الجزائري،والذي عرف تذبذبًا تاريخيًا خاصة في البدايات الحقيقة له،فقد شكل هذا النص نوعًا من الرفض، والتهميش الذي نال من جميع المبدعين الذين كتبوا الشعر الحرّ،ومع ذلك بقيت الدعوة في صمت تدريجيًّا حتى افتكت اعترافها النقد والإبداعي مثلها مثل غيرها من النماذج الشعرية التي راحت تؤسس لوجودها الشعري في عالم النظم العمودي،وقد كان التحدي والتجربة الشعرية خير هدف للشاعر العربي من أجل تأسيس وجوده الشعري في تلك الفترة المخاض.

ب-قصيدة التفعيلة في تونس:

لقد قدمت القصيدة الحرة في تونس دورًا بارزًا في عرض حركية الشعر المعاصر في الحياة الثقافية التونسية،ولعل العديد من الأسماء قد خاضوا مرحلة التجريب في شعر التفعيلة بعد ثورة **(أبي القاسم الشّابي)** الرومانسية خاصة عند كل من **أبي القاسم محمد كرّو ومنّور صادح،صالح القرمادي،سالم اللّبان، محمد رضا الكافي**،وغيرهم من الأسماء البارزة في سماء الشعر الحر،ونسوق بعض النماذج التي تعكس حالة المجتمع التواق إلى التغيير،وهذا ماعكسه شعر"**الطاهر الهمامي**"،والذي يصور حالة من التشظي في مجتمع ممزق يعيش غربة ووحشة، إذ يقول :

باعة الكلام الأبيض

مازالت قلوبهم تنبض

ومازالوا يعيشون

وقد حسبناهم غابوا

وتابوا (9)

في حين نجد ظهور نخبة من الشعراء الشباب الذين تشربوا من منابع الحداثة الفكرية واللّغوية وتربوا على فلسفة **بودلير** و**فولتير** و**جوته** و**كافكا** و**نيرودا** حتى بات النص الشعري عندهم سلوكًا نحوَ التغيير المستمر كما في مدونات الشاعر **(عصام شرف الدين)** نحو: **(ديوان ترجمان المدينة،وديوان المنازل)**،وهما يصوران واقع المثقف وحالة اليأس والضياع والحصار التي يعيشها في كنف مجتمع مهزوم نفسيا، يصطاد آهات المثقفين ويقوم بتعريتها من خلال التنكيل بهم في المنتديات والمهرجانات ليس إلاّ ،ولعل قصيدة– **دولاب**– تمثل حالة فريدة من التيه والفزع والفراغ التي يمرّ بها المثقف التونسي بشكل خاص والمغاربي بشكل عام ،وهذا ما يظهر جليا في قوله:

"في ذات اللحظة في العام العاشر بعد الألفين

تسألني امرأة عن عمري:

عن اسمي:

لا أذكرُ

عن لغتي:

- **سأحاولُ**

عن بلدي:

- **أخلع نعليّ، وأمضي بعيون حافيةٍ**

في نفس الدولابْ"(10)

أمّا في قصيدة **(الطائر المعلق)**،فنجده يصور لنا حالة الموت في المدينة، والألم الذي بات عنوانًا للمعاناة داخل أسوارها ،فيقول:

".. وراء السور شيطان

أتى بالحبل علقه..

وذاك الباب بابهمُ:

هم الشهداء فانتعلِ

وطأطئ رأس غفلتك

وسر فيها على مهلِ !

مدينتنا التي كانت

مدينتنا التي صارت

وليست هذه الأولى

وليست تلكم الأخرى..

أطير يشتكي شجني،

أم الأصداء في بدني،

أم الطاعونُ أجّجه..

أم الأسوار في المدن..

أم اللغز الذي غابا..

(وليس اللغز سردابًا)

تعلّق فاستوى شلوا من الأشلاء يا وطني؟ !!"[11]

أمّا الشّاعرة **(رجاء بن حليمة)** تصور في مجموعتها الشعرية**(مزامير الحلم والرحيل)** حالة الشّجن النسوي أثناء زيارتها لأزقة تونس العتيقة،وماتحمله من ذكريات وحنين أنثوي خطّه الزمن عبر كل أماكنها الفواحة بعبق الحياة،وهذا ماعبرت عنه قصيدة **(دروب)**،والتي تقول فيها:

دروبنا تتقاطع

ولن تلتقي

ولن تعقل أزقة المدينة العتيقة

خطواتنا الليلية

وهمساتنا المكتومة

وضحكاتنا

عند الزوايا المظلة

وأنت تمسك يدي [12]

في الحقيقة إنّ تجربة الشّاعرات التونسيات من خلال **فضيلة الشّابي وزهرة العبيدي** و**رجاء بن حليمة** و**أمال موسى** تبدو منعتقة من أغلال ورتابة العروض من ناحية وتلوح تواقة إلى فضاء التحرّر الإنساني والاجتماعي والنفساني أيضا فقد عبّرن في أغلب نصوصهنّ عن شوقهنّ العارم إلى تحقيق ذواتهنّ وسجلنّ بصدق كبير تجاربهنّ في أحلامهنّ حينا وفي خيباتهنّ حينا آخر.

جـ- قصيدة التفعيلة في ليبيا:

إنّ الشعر اللّيبي المعاصر لم يتجلَ حضورهُ إلاّ في تجارب قليلة جدًا بحكم تعلق الشاعر اللّيبي بالنموذج العمودي التراثي، كما لا ننكر وجود بعض النماذج الشعرية المنثورة في بعض الجرائد والمجلات ت،ومنها تجربة الشّاعر **(إبراهيم الكوني)**: في شعره، إذْ يقول:

" **بدأنا تدنيس البحر، بعد أن فرغنا من تدنيس البرّ**
كل إنسان بريء، في نظر الناس درويش
أيّ الضدين أنبل:درويش لايضمر الشرّ أم لئيم لايضمر إلاّ الشرّ؟
كل من ليس لئيمًا في رأي أهل الزمان،درويش"(13)

وعليه إنّ تجربة الشّاعر **(إبراهيم الكوني)** تعكس حالة التمزق والتفتت للهوية داخل نسيج المجتمع،وهذا ما خلق قلقًا وتوترًا كبيرين في نفسية المجتمع اللّيبي بشكل خاص.

أمّا الشّاعر المعاصر **(سليمان زيدان)** فنجده هو الآخر يصارع زمن الموت تارة والخوف تارة أخرى من خلال مدونته**(رجع الصمت)**،والتي يصور فيها حالة اليأس والفناء التي أصبح يعيشها المواطن الليبي مثلما هي في مدينة غزّة الآبية فيقول عنها في قصيدة **(قرة الصبر)**:

"**آه قرة الصبر**
مرة الذكر
دمك المسفوح فوق مشافر الخراب
فوق أوتاد المشانق
على موائد الذئاب
يمتصه الذباب
وعيشك عذاب
فشرقك ياغزتّي خراب يا عزتّي خراب
فشرقنا خراب..
شرقنا خراب.."(14)

أمّا قصيدة **(عندما تغدو الراية منديلا)**، نجد الشّاعر يصور لنا حاله وطنه**(ليبيا)** بلد الصمود والتحدي بلد المجاهد **(عمر المختار)** الذي دمه مستباح في كل حين،ليقول عن ذلك كله:

" **أشرب نخب التاريخ**
على زمن أرداه العطن صريعًا
أشرب عسلاً مرًا أعصره من شمع الفجيعة
أتجرع مختارًا ترياق الوجيعة

وسيفترش العار
من يقتات العدم
سأمشي وإن خذلني قومي
أو أمسوا:
جرذانًا تحمل دولارا
أو خفاشًا أحل الدجى
وحرّم النهارا
أو سلاحف تحملُ أقلامًا
ونوتة وقيثارة"(15)

د- قصيدة التفعيلة في المغرب الأقصى :

إنّ قصيدة التفعيلة في المغرب الأقصى قد تطورت بشكل ملفت للنظر، ولعلّ العديد من الشعراء قد خاضوا هذه التجربة الشّعرية الجديدة عبر العديد من النماذج الشعرية التي صورت في النهاية تلكم الحالات النفسية والفكرية للمجتمع المغاربي بشكل خاص، كما نجد العديد من شعراء الحداثة قد خاضوا هذه التجربة بجرأة شديدة ،وقدموا فيها الكثير للنص الشعري المغربي بشكل مميّز نحو:(**محمد بنيس، عبد الكريم الطبال، محمد السرغيني، محمد الطوبي، إدريس الملياني، جليلة الخليع، عبد العالي النميلي،محمد على الرباوي، عبد الله راجع، عبد الناصر لقاح، بوعلام الدخيسي)**،والمتتبع لأنطولوجيا الشّعر المغربي يجد أنّ الصورة الحداثية تكاد تكون واحدة في المغرب العربي لكون الألم والمصير المشترك والقضايا متماثلة،وهذا مايشير إليه ديوان**(الحرف الثامن)** للشاعر بوعلام الدخيسي،حيث يصور في قصيدة**(بين المارج والماء)** حالة اليأس التي أصابت المجتمع الذي بات يبحث عن المخلّص فكانت الموت هي الدواء

فيقول: " **أخذوا كل الثروة**
كل الثورة
لم أظفر إلاّ بالموت والأشلاء
أخذوا الشمس وقالوا إنّ الشمع بديل
فقطعت أنامل طيفي فوق المشمع
فإذا بالشمعة مثله
وإذا بالموت دواءْ" (16)

أمّا في قصيدة(**طفل يحررنا**) فهي علامة ثانية عن شدة المصاب الذي ألّم بالمجتمع فكان لابدّ من ثورة ترسلها السماء لمنقذ يخلصهم من عذاباتهم والتحرر من صور الرؤى التي وجد فيها العربي نفسه رهينةً للموروث الديني، وهذه الصورة في واقع الأمر معادل هي موضوعي لقصة الطفل النبي (**يوسف**) مخلص آل يعقوب من حالة الجوع والقحط التي كانوا يعيشونها في بادية كنعان بعد أن رأى رؤية في المنام كانت سببًا في خلاصهم وبعثتهم إلى أرض مصر، وهذا ما يتجسد في المقطع الشعري الآتي:

" **لن يسجد يا يوسف أبواك ولا إخوتك اليومْ..**
ارفعْ رأسك وانسَ الرؤيا
واضربْ بعصا الجدّ حجارتهم
وعصا القادم شاطئهم..
واضرب بعصا المكيّ
مماليك الأقنان..."[17]

وبما أنّ النص الشعري الحداثي كان ظاهرة فنية وجمالية تستحق منا العناية فإنّ الشاعر المغاربي خاض العديد من الفتوحات الفكرية والنقدية من أجل التطوير والتغيير لمختلف التمظهرات التي كانت تؤسس لمفارقات لم يكن المثقف العربي على علم بها لتأتي أخيرًا الدوافع النفسية التي صورت تجربة المبدع المغاربي بوصفها انعكاسا حول ما يعانيه الشاعر من واقع مؤلم نتج عن الكبت الروحي، والمادي الذي خلقه الاستعمار في بلاد المغرب العربي، فنتج عن هذا الجنوح إلى خلق نوع شعري جديد من العطاء الفني تظهر فيه الأمة أنّها بدأت تستعيد نشاطها وحريتها من خلال الثورة، والتمرد على الواقع المرير والبوح بالمعاناة التي يحياها الشاعر، في دائرة الثورة والحبّ والمرأة، والحنين والسياسة والمدينة والضياع،والموت وقد حفلت فترة الستينيات حتى نهاية التسعينيات من القرن العشرين بالكثير من الأسماء الشعرية الحداثية التي دونت في سجل الإبداع، « كطارئ لغوي وكحدث جديد على ثقافة »[18] لم يعرفه الشّاعر العربي قط.

هـ- قصيدة التفعيلة في موريتانيا:

في الحقيقة موريتانيا هي بلد المليون شاعر كما هو معلوم لدى المثقف العربي، وقد ظهر فيها العديد من الشعراء الذين خاضوا تجربة قرض الشعر العمودي والحرّ،ومع ذلك شعر التفعيلة عزف عن تداوله الشاعر الموريتاني بحكم التقيد بالطابع العمودي التراثي من جهة، وولعه به من

جهة آخرة، مما ترك المجال مفتوحًا لتأويلات متعددة حول صور العزوف عن تمثيل شعر الحداثة في المدونات، ومع ذلك فإنّ الشّاعر الموريتاني المتأثر بشعر **(محمد ولد طلبة)** بشكل خاص نجده يعدّ امتدادًا تاريخيًا للشاعر الجاهلي قد ركب في النهاية موجة الحداثة، وتشرّب من مواردها العربية والغربية، وعلى الرغم من قلة هذه النماذج الشعرية، فقد ترك لنا تراثًا شعريًا راقيًا كما هو الحال عند الشّاعرة **(باتّه بنت البراء)** في ديوانها **(أحلام أميرة الفقراء)**،والشاعر **(محمد الحافظ ولد أحمدو)** في ديوانه **(عودة الهديل)**،والشاعر محمد **(ولد عبدي)**،والشاعر **(سيد الأمين ولد بناصر)**،والشاعر **(بدي ولد ابنو)**،وغيرهم من شعراء التفعيلة المعاصرين والمجددين في النص الشعري الموريتاني.

واكب الشعر المغاربي الموريتاني الحداثة الشعرية العربية،من خلال العديد من النماذج الشعرية كما هو الشأن عند الشاعرة **(باتّه بنت البراء)**، إذْ تصور في قصيدة **(مواطنون من العالم الثالث)** حالة الشجن والخوف من المجهول الذي يتربص بكل فرد عربي بات ينتمي لهذا الشق من العالم، لأنّ مصيره في النهاية مجهول،محفوف بالمخاطر لكونه في أيّه لحظة سيكون لاجئا سياسيًا بلا وطن،وهذا هو حال الوطن العربي الآن رغم أنّ ديوانها قد صدر سنة 1997م إلاّ تنبأتْ سلفًا بما سيحدث للعالم الثالث والوطن العربي من ربيع مقيت جعل من الإنسان العربي متسولاً ولاجئًا في دول غربية وعربية فاقدًا لمعنى كلمة **(وطن)**، وماتعنيه لكونه لم يدرك قيمة هذا المعنى إلاّ بعد فوات الأوان،وتجرعه مرارة الربيع العربي المبيّت، والخراب الذي أصاب الدول العربية، وعليه تقول في هذه القصيدة:

" مواطنون كلنا لكننا بلا وطن
محنطون غارقون في توابيت الزمن
وكلما مرت محن
كانت دماؤنا الثمن
نحن أناس طيبون، وادعون،مبعدون
نرتل القرآن في الصباح والمساء
ونحرق البخور خوف السحر والنساء
ونطلق الدموع والآهات في السحر
نرقص كالغجر
نبتلع الدموع جمرًا،
نضرب العبر

وحين يبسم الصباح

إذا بنا مبتسمون"[19]

والذي يقرأ النص الشّعري الموريتاني يجده نصًا صوفيا يحمل في طياته طابعًا دينيا لما في الواقع من آهات وزفرات تفسر وتؤوّل باسم الدّين والمقدس ،وما إلى ذلك من طقوس العبودية للشيخ، فخلفت بذلك مشهدًا أدبيًا مغايرًا،غير أنّ الجديد في تلك الفترة في إبداع القصيدة الموريتانية الحرّة،والتي هي جزء لا يتجزّأ من النص الشّعري العربي المعاصر،هو ولوج معظم ذلك الشعر للتعبير بشكل مستمر عن أقانيم النفس الشاعرة، ووجدانها بلغة شعرية تبرز هوية المبدع العربي وتترجم إبداعه « وطريقة تفكيره وحتى في أحاسيسه» [20] لأنها حصيلة اجتماعية ونتاج للتاريخ الاجتماعي وبعد شيوع القصيدة الحرة عند جزأ من أبناء دولة موريتانيا ،وركوب أغلبية المبدعين موجة الحداثة،والتي بدأ معها الإبداع المعاصر مرحلة شعرية جديدة ،كسر العديد من المبدعين من خلالها أفق توقع النقد العربي،حيث أصبحت ذات شاعرة تجيد لغة الإبداع الشعري الجديد الذي« يختلف من حيث البناء الموسيقي والمعنوي»[21]،عن الشعر المغاربي العمودي التراثي خاصة عند أغلبية الموريتانيين الشغوفين بالنص العمودي التراثي وبالتالي فرض المبدع المغاربي المعاصر نموذجه الجديد على ساحة الأدب والنقد المغاربي المعاصر تدريجيا كنوع من الثورة والتجديد على القديم.

2- المحور الثاني: خصائص قصيدة التفعيلة المغاربية

لقد قدمت قصيدة التفعيلة المغاربية في كل من(**ليبيا وتونس والجزائر والمغرب الأقصى، موريتانيا)** الكثير من النماذج الشعرية الراقية التي حاكت فيها الكثير من النماذج الشعرية العربية،وحتى الغربية،ناهيك عن تنوع نصوص الشعر العربي المعاصر على مستوى الموضوعات أو المشاهد الشّعرية الراقية التي احتفى بها الشعر المغاربي ليصبح في النهاية يشكل" حركة إبداع تماشي الحياة في تغيرها الدائم ولا تكون وقفا على زمن دون آخر،فحيثما يطرأ تغيير على الحياة(...) يسارع الشعر إلى التعبير عن ذلك بطرائق خارجة عن السلفي والمألوف"[22]،فالشعر المغاربي شكّل الحدث الإبداعي الذي كان المبدعون والنقاد يبحثون فيه عن واقعهم الفكري والفلسفي الذي بات مظهرًا هامًا ينظر إليه كصورة مشهدية عن كل مايحياه الشاعر من أفراح و أقراح شكلت حياة المجتمع المغاربي في فترة الحرب والسلم وعلى العموم، فقد تنوعت قصيدة التفعيلة المغاربية لتأخذ أبعادًا أخرى لم يعرفها النقد المغاربي المعاصر من قبل، وجل تلك الخصائص الشعرية لقصيدة التفعيلة المغاربية،نجدها لا تخرج في فحواها عن نمط القصيدة الحرة

العربية ،والتي شكلت رسمًا عامًا لمسار حركة الشعر العربي المعاصر،وهذه الخصائص أوجزناها في الآتي:

*- قصيدة التفعيلة المغاربية هي قصيدة تقوم على نظام السطور بدل الشطور وعلى وحدة التفعيلة الصافية بدل البحر والقافية والروي.

*- نظام شعر التفعيلة المغاربية يقوم على خاصية التحرر من شكل القصيدة العمودية التراثية،ليحل محله السطر النثري.

*- قصيدة التفعيلة المغاربية هي قصيدة توظف الرموز والأساطير كعلاقة فنية جمالية بين الواقع والتراث كمعادل موضوعي لما هو سائد.

*- قصيدة التفعيلة المغاربية تحاكي النماذج الشرقية في اللغة الشعرية والدلالات الفكرية والفنية والجمالية التي تعري زيف الواقع.

*- قصيدة التفعيلة المغاربية ذات حمولة فكرية تختلف في تصويرها لآهات الشعراء الحداثين لكون المرجعيات متعددة :**(أمازيغية، عربية، غربية)**،وهذا مايجعل النص الشعري المغاربي فسيفساء معمارية من النصوص الانشطارية.

*- قصيدة التفعيلة المغاربية ذات نبرة صوفية في أكثرها نظرًا لتعدد المرجعيات الصوفية لكل شاعر منها ما هو: قادري/ تيجاني/ نقشباندي/ جيلالي...إلخ.

وعلى العموم بقيت قصيدة التفعيلة المغاربية تشكل حدثًا شعريًا هامًا في عالم الشعر العربي لما حملته معها من حمولات فكرية وفلسفية للمجتمع الجزائري الذي كان يصارع الحياة والاستعمار والتهميش والتحقير الذي عانى منه الشّعب الجزائري ساذجهم، ومثقفيهم بعد التأثر المباشر"بالعوامل التي طرأت على الشعوب العربية بعد حرب عالمية أسفرت(...) عن وجه جديد لعلاقة الإنسان بالإنسان وعلاقة الإنسان بالوجود"[23]،وعلاقة الإنسان بالطبيعة الفنية والأدبية التي أوجدت تجديدًا فعليًا في مختلف الأنواع الإبداعية وكان الشعر المغاربي قد أخذ هو الآخر نصيبه من التحديث الفكري في الأساليب والمواضيع التي كانت تظهر النص الأدبي مقدّسًا لايمكن تجاوزه إطلاقًا .

*- خاتمـــة:

من كل ماسبق ذكره قدمت القصيدة المغاربية الحرّة صورة مغايرة عن القصيدة العمودية التراثية التي كانت سائدة خلال فترة طويلة من الزمن جعلت من النص الشعري المغاربي حبيس لغة شعرية غير مناسبة للغة التجديد،والمعاصرة فكانت حينها القصيدة المغاربية الحرّة حدثًا تاريخيًا هاما نهض بالشعر في بلاد المغرب العربي على غرار الشعر الحرّ العربي ليواكب مختلف التطورات الإبداعية والنقدية التي من الممكن أن تمسه ،وتصلح من شأنه،وعليه يشير الكثير من النقاد على أنّ وفرة الإنتاج الشعري المغاربي في قصيدة التفعيلة قد بلغت ذروتها"فبلغ نتاج هؤلاء الشعراء قمته"[24] خصوصًا في فترة الثمانينيات والتسعينيات

The manifestations of experimentation in the poem of the maghreb activation

In fact, Maghreb literature played a major role in the establishment of many intellectual and critical references at the level of theoretical, which made it accepted and satisfied during the process of reading and receiving by critics, and this is because of this paradox of literature, and multiple references, especially poetry from it, the Maghreb poem provided texts Different from its eastern counterpart, it was necessary to go through the process of poetic experimentation by the poets of the East from the vertical poetic text to the poem free poetry, and this new experience found many pitfalls until matured completely

The multiplicity of intellectual and cultural within the structure of the Maghreb poetic text has become a qualitative breakthrough especially if the poetic text has become a load of knowledge, philosophical and human civilization vision beyond the geographical, contractual and sectarian dimension, Loaded in free Maghreb poem in free poetry in general to facilitate communication and cover all Cultural formats that interfere with the components of the literary text continuously and effectively

Of course, the Maghreb poetic model presented many forms of pain and suffering in general, depicting a deep view of the human self of the Maghreb man who was looking for all forms of communication, and conveying various groans and worries to the skin of his skin on the one hand, and to the other on the other hand without excessive or excessive intellectual, nodal or philosophical. The poems that addressed the Maghreb poetry eventually embodied a cultural accumulation in which everyone is continuously producing it without intellectual problems. , Ibrahim El Kouni, Sulaiman Zidane, Mohamed Bennis, Mohamed El Serghini, Boualem Dkhissi, Mohamed Ould Tolba, Bata Bint El Baraa, and other poets of modernity in contemporary Maghreb poetry.

Research Problems

The problem of the research revolves around the manifestations of the phenomenon of experimentation in the Maghreb free poetry and the introduction of Maghreb poetry from multiple poetry models, which managed to get rid of the subordination complex of the Orient poetry model, Sometimes it may be surpassed, and thus put forward the following problem: " How was the Maghreb poet able to embody the phenomenon of experimentation in the free poem?" This is what the

research answered gradually by reviewing the theoretical and applied stations, which presented many models of free Maghreb poetry.

B - **Research Axes**: The study revolves around two main axes:

1- **The first axis**: the pioneers of experimentation in the poem of the Maghreb activation.
2 - **The second axis**: characteristics of the poem of the Maghreb activation.

C. Search Results:

The poem of the Maghreb activation created a real revolution in the world of free poetry because of its great artistic aesthetics and topics not addressed by the Maghreb poet who innovated in the systems of activation poem and conveyed it to the various groans and the various aches of contemporary Maghreb man.

In the end, the poem of the Maghreb activation remains a special case in the worlds of poetry completely different from its oriental counterpart in different subjects, aches and concerns, as it achieved a real presence in the arena of poetry, and gradually became rival to the Oriental poetic model.

الهـــوامش:

(1) محمد ناصر: الشعر الجزائري الحديث اتجاهاته وخصائصه الفنية، دار الغرب الإسلامي،بيروت،لبنان، ط1، 1985، ص149.

(2) أبو القاسم سعد الله: الزمن الأخضر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط1، 1985، ص 144.

(3) محمد حمود: الحداثة في الشعر العربي المعاصر(بيانها ومظاهرها)، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، لبنان،ط1، 1996،ص 100.

(4) أبو القاسم سعد الله:الزمن الأخضر، ص337.

(5) محمد بلقاسم خمار: موسوعة الشعر العربي،
http://www.sh3r.info/poem43948.html 2015/06/22

(6) أدونيس: زمن الشعر، دار الساقي، بيروت،لبنان،ط6، 2005، ص146.

(7) محمد الصالح باوية: أغنيات نضالية، موفم للنشر، الجزائر،ط2، 2008ن ص49.

(8) المصدر نفسه، ص41.

(9) سوف عبيد: حركات الشعر الجديد في تونس،2008-https://www.soufabid.com

(10) عصام شرف الدين: المنازل،ميارة للنشر والتوزيع،القيروان، تونس،ط1، 2013، ص23.

(11)عصام شرف الدين:ترجمان المدينة، مسكيلياني للنشر والتوزيع، زعوان،تونس،ط1، 2006، ص 101، 102.

(12) سوف عبيد: حركات الشعر الجديد في تونس،2008-https://www.soufabid.com

(13) إبراهيم الكوني: ديوان البر والبحر، دار الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، لبنان،ط1، 1999، ص120، 121.

(14) سليمان زيدان: رجع الصمت، دار طبرق للنشر والتوزيع،طبرق،ليبيا،"ط1، 2010،ص4.

(15) المصدر نفسه،ص44.

(16) بوعلام دحيسي: الحرف الثامن، مطبعة جسور، وجدة، المغرب،ط1، 2015، ص80.

(17) المصدر نفسه،ص 86.

(18) عبد اللّه محمد الغذامي: المرأة واللّغة، المركز الثقافي العربي، المغرب،ط1997،1، ص208.

(19) باتّة بنت البراء،أحلام أميرة الفقراء،نواقشط للتوزيع والنشر، موروبتانيا،ط1، 1997، ص19، 20.

(20) نعيمة هدي المدغري: النقد النّسوي والسّؤال السوسيو لغوي، مجلة فكر،ع5،المغرب،2007،ص23.

(21) حسن عبد الجليل: اللّغة العربية بين الأصالة والمعاصرة(خصائصها ودورها الحضاري وانتصارها)، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية،مصر، ط1، 2007، ص211.

(22) محمد بنيس: الشعر العربي الحديث، بنايته وإبدالاتها(الشعر المعاصر)، دار توبقال للنشر، المغرب، ط3، 2014، ص35.

(23) يوسف الخال: الحداثة في الشعر،دار الطليعة للطباعة والنشر،بيروت، لبنان، ط1، 1987،ص79.

(24) شلتاغ عبود: حركة الشعر الحرّ في الجزائر،المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط1، 1985،ص32.